المدن البيزنطية خلصه ، والرحيبة ، والعوجة ، وعبده ، وما تحويه من البيوت والكنائس والأديرة والقلاع . وبعد ذلك تقدم العالمان الى سهول القصيمة عبر الحدود المصرية (وهي التي يفترض انها قادش برنيا ونظرا لأنها عقدة مواصلات تؤدي الى مصر والخليل ووادي عربة وايلات ، وبسبب توفر المياه فيها ، وامتداد التربة الصالحة ، فقد جزما بأنها كانت مركز بني اسرائيل خلال تجولهم ٤٠ عاما) .

وقد افترق العالمان عند القصيمة . فاتجه وولي شمالا الى عبده والكرنب ، بينما اتجه لورنس الى وادي لوسان والكنتلة ، ثم الى خليج العقبة ، وبعد ذلك اتجه شمالا الى عربة وجبل الحور فالخط الحجازي عند معان . وقد نشرت نتائج تحرياتهما في المجلد السنوي الذي اصدره الصندوق عام ١٩١٤_١٩١٥(٧٧)، وهو موضح بالرسوم والمخططات والصور ، ونشره هوغارت D.G. Hogarth (٧٨) في الفترة التي توجه فيها وولي (٧٩) ولورنس الى مصر ليقوما بدورهما في مسرح العمليات الشرقية في الحرب العالمية الاولى . الاّ انّ الخريطة التي اعدت بعد انتهاء نيوكومب من عملية المسح ، لم تنشر وتوزع بناء على طلب وزارة الحربية . وانتهت بذلك عملية مسح فلسطين قبل ان تتوقف عملية استكشاف فلسطين خلال فترة الحرب (٨٠) .

رأي في صندوق استكشاف فلسطين

لا شك في ان الاشراف البريطاني على عملية استكشاف فلسطين ، كان احد اهداف السياسة الخارجية البريطانية منذ ان بدأت بريطانيا تبدي اهتماما خاصا بالشرق العربي بسبب تجارتها مع الهند . وزاد هذا الاهتمام بعد ان هددت قوى اوروبية اخرى هذا الطريق (احلام روسيا القيصرية ، حملة نابليون ، قوة محمد علي) . ومنذ اواخر ثلاثينات القرن التاسع عشر ، كان احد الاتجاهات التي لجأت اليها الدبلوماسية البريطانية للسيطرة على الشرق العربي يمر عبر فلسطين . ونوقشت على نطاق واسع في الصحافة وفي الاوساط الحاكمة ، قضية تحويل سورية وجزء من فلسطين الى منطقة للنفوذ البريطاني او مستعمرة بريطانية . ولعب صندوق استكشاف فلسطين الذي اسس عام ١٨٦٥ ، دورا كبيرا في تأكيد هذا الاتجاه ، ومع انه انطلق من فكرة دينية بهدف دراسة كل ما يتعلق بالاراضي المقدسة ، الاّ ان حقول نشاطاته وما قام به من عمليات التنقيب والمسح ووضع الخرائط ، قد تعدّت المسائل الدينية العلمية ، ولا يمكن ان نعزوها فقط الى دوافع أثرية دينية . فمعظم الذين قاموا بالبعثات والاستكشافات وتولوا عمليات الحفر والمسح ووضع الخرائط ، كانوا من وزارة الحربية البريطانية ومن سلاح الهندسة الملكية بالذات . ومعظم هؤلاء بالرغم من اهتمامهم العميق بالآثار وتعلقهم بتاريخ التوراة وحسهم العميق بجمال الأراضي المقدسة ، كانوا يشيرون الى معلومات تدور حولهم ، ويشاركون في سير الاحداث لخدمة اغراض السياسة البريطانية الخارجية (كوندر ، بالمر ، كتشنر ، وولي ، لورنس ، الخ) . ويقر احد متتبعي عمل كتشنر في فلسطين : « ان كتشنر وهو يقرأ الماضي كان يرسم دروسا للحاضر والمستقبل (٨١) . وان مشاهدته آثار العظمة القديمة دفعته الى التطلع نحو عظمة بلاده وشعبه . وان « رؤيته شعباً قد اعماه تخلفه الحضاري عن رؤية تدنّي مستوى معيشته ، قد أشعره بقيمة العمل الذي سيؤديه ، برفع امثال هؤلاء وملايين معهم نحو مستوى ارفع من الحياة » . ويتساءل الكاتب : هل كان كتشنر وهو يتطلع الى سهل « يزرعيل » ، ويرى مشهد معركة « ارمجدون » ، يتوقع بأن « ارمجدون » جديدة اصبحت